الرياض

إسرائيل في المصيدة

حمد بن عبدالله اللحيدان

إسرائيل اليوم تراهن على الحرب والتدمير والقتل وإذلال العرب أكثر من أي وقت مضى. فعلى الرغم من أنها قامت على الاغتصاب وتجميع شتات اليهود على أرض العرب ومساكنهم وتدنيس مقدساتهم إلا أن العربدة الإسرائيلية لم تكن أكثر ضراوة منها الآن حيث تستخدم أحدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية من أسلحة بجميع أنواعها البرية والبحرية والجوية وفي المقابل لم يكن العرب أكثر تفككاً وعدم اتفاق مثل ما هم عليه اليوم إلى درجة أن كل واحد منهم يعلن وبصراحة أنه لن يحارب إسرائيل وليت هذا جاء من باب المناورة السياسية لكن الأدهى والأمر أن ذلك واقع الحال ويا ليته سكت. وما يفعله شارون اليوم لا يخرج عن طبع بني إسرائيل الذين يثبتون أنهم الأكثر غدراً والأكثر مكراً وخرقاً للعهود والمعاهدات فأين معاهدة أوسلو؟ وأين اتفاق مدريد؟ وأين توصيات ميتشل؟ وأين مذكرة تينت؟ وأين قرارات مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة؟.. وأين وأين؟

ومن يُصدق إسرائيل في أي تعهد يعقد معها بعد اليوم فهي وكر حقد وتخطيط دائم ومستمر لإجهاض أي عمل عربي مشترك وكل أحلامهم وأمنياتهم وطموحاتهم تنحصر في قتل العرب وكسر شوكتهم وقد أخبر الله أنهم ألد أعداء المسلمين حيث قال سبحانه وتعالى: {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا} المائدة 82.وقال تعالى: {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة 78-

.79إن ما تفعله إسرائيل الآن ومنذ زمن هو حرب معلنة على العرب والمسلمين ومقدساتهم وليس على الفلسطينيين وحدهم. نعم إن الفلسطينيين هم الضحية الأولى والباقي سوف يتبع فكرش المعتدي تتسع لمزيد من القتل كلما أمعن في الرعونة والغرور ولم يجد ما يردعه.

نعم لقد اختارت إسرائيل منذ نشأتها طريق الحرب ولكنها اليوم تختاره ليس من وراء الستار بل تختاره جهاراً وأمام العالم وأنظاره وبنقل مباشر على الهواء وفي المقابل اختار العرب طريق السلام وأعلنوا مبادرتهم للسلام الشامل التي رفضتها إسرائيل وردت عليها بالمدافع والدبابات واقتحام المسجد الأقصى واحتلال المدن الفلسطينية وقتل الشباب واعتقالهم. كل ذلك لإجهاض المقاومة الباسلة والانتفاضة الشجاعة للشعب الفلسطيني التي قضت مضجع إسرائيل وأدخل الفلسطينيون الشجعان من خلالها إضافة جديدة للشجاعة العربية فالتفجيرات الاستشهادية لم تتمكن أمريكا أن تخترع لها سلاحاً مضاداً والمقاومة التي تضرب اليوم في كل مكان جعلت الشعب الفلسطيني يثأر لنفسه بالتو والساعة.

ومن خلال تلك المعادلة التي تتمثل في أن إسرائيل قد اختارت طريق الحرب وراهنت عليها والفلسطينيون قد اختاروا طريق المقاومة وتمسكوا بها والعرب قد اختاروا طريق السلام إلى جانب دعم المقاومة، تقع إسرائيل في مصيدة حقيقية لو استطاع العرب استغلالها من خلال التمسك بالخيارين معاً خيار المقاومة وخيار السلام.

فخيار المقاومة الذي اختاره الشعب الفلسطيني والذي لم يكن انضج وأقدر على الرد مثل ما هو عليه اليوم يحتاج إلى أن يدعم بصورة مباشرة وغير مباشرة معلنة وخفية وهذا يمكن أن يتم بوسائل وطرق عديدة نذكر منها:

-1الانتفاضة التي يخوضها الشعب الفلسطيني انتفاضة نوعية لم يسبق لها مثل في تاريخ الشجاعة العربية وهي اليوم تسطر أروع أنواع الفداء والبذل والتضحية لقد أضافت تلك الانتفاضة إلى تاريخنا العربي المليء بالشجاعة والإقدام نوعاً جديداً من الشجاعة وهو التفجيرات الاستشهادية التي هزت كيان العدو وأعجزت كل حيلة لوقفها ذلك أن من يقدم على التضحية بنفسه لا يستطيع أحد منعه ولا يستطيع أحد صناعة سلاح مضاد له. ولم يقتصر الأمر على الشباب الفلسطيني فقط بل امتدت الشجاعة إلى الشابات الفلسطينيات واثبتن أنهن أقوى من رجال وعساكر العدو وترسانته المدججة بأحدث صرخات أسلحة الدمار الأمريكية المتطورة.

-2إن هذه القفزة النوعية في المقاومة والفداء تحتاج إلى مؤزارة ومساعدة ومد يد العون على الأقل بالسلاح والمال وهذا ممكن ومتيسر عبر التبرعات الشعبية على امتداد ساحة الوطن العربي والإسلامي، فالشعب العربي في أوج غضبه كما ان الكفاح

الفلسطيني اليوم أصبح واضحاً ومقنعاً وبسالة أبنائه لا تحتاج إلى إثبات فالفضائيات تنقل كل ذلك حياً على الهواء. لذلك فإن الرأي العام العربي والإسلامي مهيأ أكثر من أي وقت مضى وعنده الاستعداد للتبرع بكل غال ونفيس وبصورة مستمرة فلك أن تتخيل لو أن جميع العاملين في الوطن العربي تبرعوا بمرتب يوم واحد من كل شهر فكم من المبالغ سوف تجمع لصالح كفاح الشعب الفلسطيني.. ولو فتح باب التبرع أمام شعوب العالم الإسلامي فكم من المال سوف يجمع لصالح تحرير القدس من رجس بني صهيون ولو تحرك العرب بصورة جدية لطلب العون والمدد من أحرار العالم لوجدوا كثيراً من الدعم.

هذا بالإضافة إلى الدعم الرسمي من الحكومات العربية التي يجب أن تكون أكثر دعماً وصدقاً وتقرن الأقوال بالأفعال. فعلى الرغم من أنهم يقررون شيئاً بل أشياء في مؤتمراتهم إلا أنها لا تنفذ وربما تكون الدولة الوحيدة التي تفي بوعودها والتزاماتها هي المملكة العربية السعودية التي تقوم بعملية المد على الصعيد الرسمي فنصف استحقاقات صندوقي الأقصى والانتفاضة قدمتها المملكة وحملات التبرع الشعبي المؤقت والمستمر تقوم بها المملكة فأين بقية الدول العربية وشعوبها؟. لماذا لا تشكل لجان شعبية في كل مدينة أو قرية على امتداد العالم العربي لجمع التبرعات؟ فما بالك بالزكوات التي هي من حق الله على العباد.

-3كثيراً من الدعم المالي يمكن أن يقدم من قبل اللاجئين الفلسطينيين أنفسهم في الدول العربية والإسلامية والعالمية فعليهم واجب أكثر من غيرهم في دعم صمود أهلهم وكفاح أخواتهم في الأرض المحتلة وإذا كان هناك رجال أعمال وأثرياء فلسطينيون فإن الواجب على هؤلاء يكون أكبر فالانتفاضة اليوم أحوج ما تكون لدعمهم المادي والمعنوي، لذلك فإن تبرع كل لاجئ فلسطيني بما لا يقل عن 20إلى 30% من دخله الشهري لصالح أهله وأرضه أصبح أكثر إلحاحاً، ليس هذا فحسب بل إن كل واحد قادر من هؤلاء مطالب اليوم بالانخراط في صفوف الجهاد داخل الأرض المحتلة إن استطاع.

-4الأراضي المحتلة الأخرى في كل من الجولان وجنوب لبنان تحتاج إلى انتفاضة مماثلة تفتح جبهات أخرى للمواجهة مع العدو من داخل الأرض المحتلة مما يعجل بانسحابه منها فليس مثل المقاومة شيء يرهق العدو ويشل تفكيره.. إن الحرب النظامية اثبت العدو أنه يستطيع أن يتفوق فيها بسبب تفوقه النوعي من ناحية وبسبب دعم الولايات المتحدة الأمريكية مادياً ومعنوياً ومخابراتياً وعسكرياً وإعلامياً من ناحية أخرى.. وقد أثبتت جميع الحروب العربية الإسرائيلية ذلك، لكن المقاومة والكفاح المسلح من داخل الأرض المحتلة لا تستطيع إسرائيل تحمله أو وقفه إذا تلقى المدد والعون وليس شرطاً أن يكون المدد أو العون علنياً بل يمكن أن يتم عبر القنوات السرية المتبعة في كل حركات التحرر من القهر والاحتلال والتسلط.

-5نعم إن أحداث 11سبتمبر عام 2001م قد استغلت وسوف تستغل لمنع العرب والمسلمين من التبرع لصالح الكفاح الفلسطيني تحت طائلة مكافحة الإرهاب. لقد عكست أمريكا المعاني فالإرهاب واحتلال الأرض وقتل شعب بكامله يعتبر دفاعاً عن النفس بينما الكفاح من أجل التحرير والبحث عن الحرية والاستقلال واسترجاع الحقوق أصبح إرهاباً. يا للعالم المعكوس الذي تتحكم به مقومات القوة والتجبر. أين حقوق الإنسان التي يتشدق بها الغرب؟ أين العدالة التي تنادي بها أمريكا وينص عليها دستورها؟ أين محكمة العدل الدولية، أين الضمير العالمي؟

على أية حال على العرب أن يكونوا أكثر شجاعة ووعياً لمستقبلهم وأن يتحدوا لكي لا يتم القضاء عليهم واحداً بعد الآخر، فعملية فرق تسد يجيدها العدو اليوم أكثر من أي وقت مضى.

-6لقد وصل المتطوعون العرب إلى كل من أفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك وكوسوفا وغيرها بدون علم حكوماتهم ومن غير رضى منها وهم اليوم على استعداد للذهاب إلى فلسطين وهذه ورقة يمكن التلويح بها بل استعمالها بعد أن كشرت إسرائيل عن مدافعها ودباباتها وطائراتها ومارست الإرهاب بأشد أنواعه ونكلت بالعزل من النساء والأطفال والشيوخ والشباب وأحرقت الأرض بأسلوب همجي نازي تفوح منه رائحة الحقد الدفين والمستمر والذي أخبرنا عنه الخالق سبحانه وتعالى بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين.

-7بعد احتلال وتدمير إسرائيل لوسائل الإعلام الفلسطينية يجب على وسائل الإعلام العربية وفضائياته احتضان ذلك الإعلام وإيصال الصوت الفلسطيني إلى كل بيت في أنحاء العالم من خلال البث المباشر لواقع الحال في فلسطين المحتلة فليس من شاهد كمن سمع، وليس أكثر إقناعاً من منظر الدم وهو يسيل أو البيوت وهي تهدم أو الأطفال وهم يذبحون أو الأسر وهي تشرد.

-8على الدول العربية التي بدأت علاقات التطبيع والاعتراف بإسرائيل تعليق تلك العلاقات واتخاذ خطوات بالاتجاه المعاكس فإسرائيل هي البادئة في نقض العهود، أم أنهم وقعوا ضحية لإسرائيل حيث ضحكت عليهم بمعاهدات أطلقت يدها لقتل الفلسطينيين والإجهاز عليهم وكتفت أيدي من وقع على تلك المعاهدات فلا يستطيع حراكاً لأن إسرائيل سوف تتهمه بنقض المعاهدة. وهل بعد عربدة العدو وانتهاكه للحقوق والمعاهدات شيء يمكن الالتزام به أم أن الالتزام مفروض على جانب واحد؟

-9من داخل ذلك النفق المظلم ظهر بصيص أمل تمثل بإعلان صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني - حفظه الله - مبادرته السلمية والتي تبنتها القمة العربية في بيروت كمبادرة عربية تفي بالحد الأدنى للمطالب العربية في سبيل تحقيق السلام والتي جاءت بمثابة المحور السياسي الذي يدعم

الانتفاضة ويبرر استمرارها خصوصاً أن العدو قد رفضها بينما الشعب الفلسطيني والشعب العربي وشعوب العالم وحكوماته قد رحبوا بها وقبلوها مما عرى إسرائيل فهي اليوم دون غطاء فكل تصرفاتها مكشوفة وتحديها للعالم بأسره سافر وردها الوقح على المبادرة غير المسبوقة جعل إقناع العالم بأن إسرائيل هي مصدر الإرهاب وصانعه ومصدره أسهل من ذي قبل.

-10إن التكتيك الإسرائيلي المتمثل في احتجاز السيد ياسر عرفات ومن ثمَّ نفيه عنوة وبالقوة يهدف إلى إهانة الفلسطينيين وإهانة العرب ومنعه من التنقل بين عواصم العالم لعرض قضيته وعرض وجهة نظره فكان كلما زار دولة تلاه وفد إسرائيلي زائر لتلك الدولة ومنذ احتجازه توقفت الوفود الفلسطينية وكأن القضية مربوطة بشخصية رجل واحد. نعم هو رمز لحكومة فلسطين لكن العمل السياسي يجب أن يستمر وعلى الفلسطينيين تشكيل حكومة تنفيذية تعمل تحت الأرض تؤازر الحكومة الظاهرة. كما يجب الكف عن تسمية الجهة المسؤولة عن التفجيرات فالتفجير والمقاومة المقصود منهما التحرير وليس رفع اسم جبهة ومنافسة جبهة أخرى ناهيك عن أن السرية وعدم الإعلان عن الجهة الفاعلة بربك مخابرات العدو ويجعل الانتقام من أسرة الشهيد أو بلدته أو منظمته أصعب ويجعل الخيارات أمام العدود محدودة ناهيك عن حرمانه من هذه الميزة المتمثلة في الإعلان عن هوية الفاعل وبلدته وأسرته ومنظمته التي تقدم الآن للعدو مجاناً وعلى طبق من ذهب.

-11على الحكام العرب الكف عن الأداء بتصريحات تستبعد أو تنفي مقدرة الدول العربية على المواجهة فمثل تلك التصريحات تجعل المتشددين في إسرائيل أكثر تشدداً وفي المقابل لا أطالب بدق طبول الحرب من قبل من لا يستطيعها أو من هو غير مؤهل لها ولكن الصمت في كثير من الأحيان مع الدعم المادي والمعنوي للمقاومة يكون أكثر حكمة وأبعد أثراً.. خصوصاً إذا لم تعمل جيوش دول الطوق على منع المقاومين من العبور وعلى حماية إسرائيل من المقاومة.

لقد راهنت إسرائيل على الحرب وقد راهن العرب على السلام فهل يستطيع العرب حماية رهانهم من خلال دعم المقاومة فهي العصا الوحيدة التي بإمكانهم الاعتماد عليها لفرض رهانهم ذلك أن السلام لا يتحقق إلا بالتحرير وعودة اللاجئين وإقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس كما تقول المعادلة: الأرض مقابل السلام.

وإذا لم يرض الطرف الإسرائيلي بالسلام فليس للعرب بديل إلا المقاومة لكن المقاومة تحتاج إلى دعم مادي ومعنوي وعسكري علني وسري يحبط العدو ويربك مخططاته ويرغمه على الانسحاب كما أرغم على الانسحاب من جنوب لبنان.. والله المستعان.